مظاهر الغزو الأمريكي للعراق في الشعر العراقي المعاصر (شعر يحيي السّماوي أنموذجاً)

الدكتور جهانگير أميري
أستاذ مشارك - جامعة رازي - قسم اللغة العربية وآدابها - ايران
الدكتور نورالدين پروين
دكتوراه فى اللغة العربية و آدابها متخرج من جامعة رازى
norudin.parvin@yahoo.com

Occupation events Iraqi by America and it's consequences at current poem Iraqi(case poem study of Samavi Yehya)

Jahanghir Amiri
Associate Professor of Arabic Language and Literature , Razi University, Kermanshah , Iran
Norudin parvin
Ph.D. in Arabic Language and Literature at Razi University , Kermanshah , Iran

الخلاصة :
لقد شهد الشعر العراقي عقب الغزو الأمريكي للعراق طفرة بعيدة نحو الأخذ بالمضامين الشعرية السياسية تلبية لحاجة المجتمع المحتل وتماشيا مع تطلعات الشعب العراقي عقب الاحتلال. من هذا المنطلق ذاع وانتشر أدب الاحتلال في الأوساط العراقية كامتداد للأدب المقاوم أو فرعا من فروعه. وفي السياق نفسه يعدّ الشاعر العراقي المناضل يحيى السّماوي من أبرز الشعراء الذين كرسوا أشعارهم في قضية الغزو الأمريكي وتداعياته المأساوية علي الشعب العراقي حيث قام بتصوير أحداث الاحتلال في كثير من محطاته الشعرية جملة وتفصيلا.
صوّر الجرائم البشعة والمجازر المروّعة التي اقترفتها أيدي الاحتلال الأثيمة. لقد استنجد الشاعر بالرموز الدينية والتأريخية كطاقة رمزية هائلة تعمل علي ترسيخ المفاهيم الثورية وتأجيج المشاعر الغاضبة ضد الغزاة المحتلين في نفوس السامعين. واستخدم السّماوي آلية الرمز لتحمية وطيس الحرب ضد الغزاة. فالرموز التي وظفها في شعره المقاوم مستلهمة من مخزونه الثقافي وتأريخ العراق العريق والحافل بالأمجاد. يرمي هذا البحث إلي دراسة و تحليل البصمات التي تركها الغزو الأمريكي للعراق شكلاً و مضموناً.

المفردات الرئيسية: الغزو الأمريكي للعراق، يحيى السّماوي، الشعر المقاوم، أصداء الاحتلال.

Abstract:
Amorican occupation of Iraqi had politica' social and literary consequences. These are reflecf in Arab current poem especially Iraqi's poem. Poem that explain the problem related to Iraqi occupation is the branch of resistance literature. That being more common the Iraqi current generation who touch harmful occupation disaster with their blood and flesh. In this connection current Iraqi poet Australia resident in his poems about problems occupation of Iraqi and draw all its unpleasant resuits.
And in this situation payad for proudful Iraqi history in past centuries till exist enthusiasm soul and consistency Iraqi people. However they said a lot about the problems related to Iraqi occupation. As well as this Samavi of Emam Hossein and Emam Mahdi as two theology eminent sambol called the in case of follow of their way people of Iraqi be able to run aways occupationary strangers from his government. Samavi for conveying better of resistance message and consistence to singers has profit from secret technique and used from both history and natural secret aspects his natural were as Gorg khook Malach and his history secret as Omar Yaser Hollakoh Sallahedeen Ayoobi and ect. The curvreat paper Present research is this that diverse fromwork Iraqi occupation by Nato by America leadership had extensive reflection in Samavi poem.

Key words: American occupation of Iraq ; resistence poem; Samavi Yahya; occupation consequences.

١. المقدمة

لاشكّ من كبرى حوادث شهده القرن الماضي هو احتلال العراق على يد قوات الحلف الأطلسي (الناتو) بزعامة الجنود الأميركان وبجج منها القضاء على الإرهاب. أسفر هذا الاحتلال عن خسائر فادحة في البنى التحتيّة للعراق وسبّب المزيد من تغييرات سياسية واجتماعية وأدبية. بات الشعر العراقي بعد الغزو مرآة صافية تعكس ما جرّه الأجانب إلي العراق من دمار وويلات. حاول الشعراء العراقيون عقب الاحتلال الكشف عن وجه الاحتلال والأغراض الحقيقية التي كانت وراءه من نهب ثروات العراق وخيراته كما أفصح عن حقيقة الشعارات التي ضللت بها قوات الاحتلال الرأي العام العالمي عن الديمقراطية والحرية والعدالة وغيرذلك من الشعارات المزوّرة التي ضجّت بها وسائل الإعلام العالمية. ترك الاحتلال الأميركي أثره في كافة شؤون البلاد من سياسة واقتصاد وأدب ولّما كان للشعر مكانة متميّزة لدى المواطن العراقي جاء تأثره بالاحتلال وتداعياته أوسع وأعمق.

أخذ شعراء العراق على عاتقهم مسؤولية كبرى تجاه ما يعانيه الشعب العراقي المنكوب الذي ضربه الاحتلال. علماً بأنّ للشعر المقاوم في العراق خلفية مزدهرة وعقبة خصبة منذ الانتداب البريطاني وحتى عصرنا الحاضر١. ومن أبرز روّاد المقاومة الذين أعطوا الشعر المقاوم زخماً كبيراً هو محمد مهدي الجواهري، معروف الرصافي، مظفر النواب ويحيى السّماوي٢. تعددت مواقف شعراء العراق عند الاحتلال فمنهم من مالوا إلى الحياد والانغلاق على أنفسهم ومنهم من واصلوا نشاطاتهم السياسية والاجتماعية داخل العراق وقاوموا الاحتلال بأسماء مستعارة. كما نزح عدد غير قليل من الشعراء العراقيين إلى خارج العراق وأقاموا في المهجر مستغلين الإمكانيات

الإعلامية والأمنية المتاحة لهم في بلاد المهجر لمواجهة الاحتلال وإدانة المحتلين. ومن هولاء الشعراء النازحين يحيى السّماوي الذي اختار أستراليا مسكناً ومأوىً له. ولايزال يعيش هناك عن عمر يناهز الخامسة والستين . لقد أصدر دواوين شعرية متعددة في مختلف الأغراض الشعرية على نمط القصيدة وشعر التفعيلة إلاّ أن معظم أشعاره تكاد تنصب في خان المقاومة. استقطب الاحتلال الأميركي للعراق المزيد من اهتمامه كما أنّ قضية فلسطين المحتلّة أخذت أيضاً حيزاً كبيراً من شعر السّماوي المقاوم. والسؤال الذي نحن بصدد الإجابة عنه من خلال هذا البحث هو: كيف ظهرت صورة الاحتلال الأميركي للعراق وتداعياته في شعره؟

بالرغم من مرور أعوام على احتلال العراق من قِبَل قوات حلف الناتو بزعامة أميركا فإنّ تداعيات الاحتلال مازالت تُلقي بظلالها الثقيلة على الساحة العراقية. الاقتصاد المتدهور والانفلات الأمني وتفشي الفساد والنزاع الطائفي والدينيّ والأعمال الإرهابية وغير ذلك من الأزمات الرهيبة التي يمرّ بها العراق حالياً تكوّن جزءاً من التَّرِكَة الثقيلة التي خلّفها الاحتلال للشعب والتي لاتزال تثقل كاهل المواطن العراقي. لقد أصبح دم المواطن العراقي رخيصاً في ظلّ أعمال العنف التي يشهدها العراق بشكل شبه يومي حيث أصبح حاضنة للفصائل الإرهابية وصار قاب قوسين أو أدني من الانقسام الداخلي وشبحُ الموت يهدّد الجميع. وللأسف لاتلوح في الأفق بوادر انفراج الأزمة العراقية عن كثب. لاشكّ أن قضية داعش أو إقامة الدولة المسمّاة بالإسلامية التي تشكل خطراً جدياً علي العالم كلّه لا يمكن تفسيرها وتبريرها بمعزل عن تداعيات الاحتلال الأميركي للعراق وتبعاته المدمّرة.

١-١. خلفية البحث

سبق أن راجعنا أثناء إعدادنا لهذا البحث مقالات وأطروحات جامعية تمّت حول السّماوي وأعماله الشعرية ومنها:

١. مقال ليحيى معروف وبهنام باقري بعنوان «عناصر الموسيقي في ديوان نقوش على جذع نخلة ليحيى السّماوي» هذا المقال يدرس الموسيقى الداخلية والخارجية.

٢. كتاب «آفاق الشعرية دراسة في شعر يحيى السّماوي» لعصام شرتح. وهو يسعى إلى تعريف القرّاء بتجربة شعرية متميزة.

٣. كتاب «تجليات الحنين في تكريم الشاعر يحيى السّماوي» في مجلدين لماجد الغرباوي. يشتمل الكتاب على عدة أبواب: دراسات نقدية، مقالات ورؤى وانطباعات، حوارا مفتوحا مع الشاعر اشتمل ٨٠ سؤالا منوعاً.....

٤. مقال لطالب‌زاده ورسول بلاوي بعنوان «التناص القرآني في شعر يحيى السّماوي» يدرس التناص في أشعاره.

يذكر أنّ الآثار التي سبقت الإشارة إليها تحمل في طياتها معلومات قيمة ثمينة حول السّماوي وشعره فإنّها تعطينا صورة واضحة عمّا يتعلق بآرائه ورؤاه وانطباعاته حول الحياة إلاّ أنّها لم تتطرق إلى قضية الغزو الأميركي وأصدائها في شعره كما عالجناها في بحثنا هذا.

٢. وقفة مع حياة الشاعر

وُلد شاعرنا في مدينة "السماوة" سنة ١٩٤٩م. تلقّى الدراسات الأولية في مسقط رأسه ثمّ رحل إلى بغداد ليتابع دراسته الجامعية في المستنصرية ببغداد. إشتغل بمهنة الصحافة والتدريس بعد أن تخرّج من الجامعة. هرب من العراق إلى السعودية عام ١٩٩١ بعد فشل الإنتفاضة الشعبية ثم غادر الى استراليا سنة ١٩٩٧م بعد أن بلغ ظلم صدام حدّاً لايطاق على أمل أن يعود إليه في المستقبل٣. فبعد أن كان يعيش في وطنه بات الوطن يعيش في نفسه على حدّ تعبيره الرائع:«قضيت الشطر الأول من عمري وأنا أسكن العراق وأقضي الآن

الشطر الثاني والعراق يسكنني»[٤]. صبّ شاعرنا كؤوس غضبه على الجنود الأمريكان الذين احتلوا بلاد الرافدين ووصفهم في أشعاره بمصّاصي الدّماء معتبراً إياهم أشدّ قسوة من الطاغية المجرم مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ نظامه في منظور السّماوي هو أسوأ وأخطر الأنظمة الدّكتاتورية في العالم كلّه فاستنهض الهمم وألهب المشاعر ضدّ المحتلّين في أشعاره التي تُردّد صرخات الشاعر الصاعقة[٥]. الأشعار التي قرضها في معاني المقاومة والصمود وحبّ الوطن وإدانة الأنظمة الظالمة وشجب القوات المحتلّة ونفخ روح الأمل في نفوس المناضلين تحتلّ مساحةً كبيرةً من ديوان الشاعر[٦] .

مازال يعيش في أستراليا راصداً في أشعاره كلّ ما يطرأ على الساحة العربية من تغيرات ومستجدّات أضف إلى ذلك أنّ الانتفاضة الفلسطينة تُعد من الركائز الأساسية لشعره. إنّ للسّماوي دواوين عديدة نُشرت في العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه وقد لقيت رواجاً كبيراً وترحيباً حارّاً من قبل القارئ العربي نخصّ منها بالذكر قلبي على وطني(١٩٩٢م)، من أغاني المشرد(١٩٩٣م) جرح باتساع الوطن (١٩٩٤م)، عيناك لي وطن ومنفى (١٩٩٥)، هذه خيمتي فأين الوطن (١٩٩٧م)، نقوش على جذع نخلة (٢٠٠٦م) وغيرها الكثير ...

٣. القسم التحليلي

٣-١. احتلال العراق في الشعر العراقي

دخل العراق عقب الاحتلال الأميركي مرحلة جديدة من الحياة السياسية و الإجتماعية وكان للشعراء العراقيين أثر فعال في تصوير أزمة الاحتلال الأميركي أروع تصوير حيث إنّهم لمسوا تداعيات الأزمة بلحمهم ودمهم وعاشوا لحظاتها الرهيبة بكلّ خليّة من خلاياهم. وفيما يتعلّق بالسّماوي فإنّه بالرغم من أنّه كان يناوئ النّظام العراقي السابق لكنّه لم تَرُقه قضية الاحتلال

حيث اعتبرها خداعاً وتضليلاً للشعوب. باعتقاد السّماوي إذا كان بالأمس تحكم العراق الأنظمة الدكتاتورية بقبضة حديدية فاليوم تدوسه أحذية الاحتلال الأميركي وإذا كان بالأمس ينهب جلاوزة صدام أموال البلد فاليوم ينوش جنود الاحتلال لُحوم العراقيين:

ماذا تغيّر؟ نفسها الأُسُسُ/ أمّا الجديدُ فإنّه الدَّلَسُ (١)/بالأمسِ كان اللصُّ ينهشنا/ واليوم؟ ينهش لحمنا العَسَسُ (٢) ٧.

أماط السّماوي اللثام عن وجه الحريّة المزوّرة:

زعم المحرِّرُ أنْ سيمنحُنا / حريّةً تُفدى وتُقتبسُ/حريّةٌ... لكن يُراد بها / وأدُ الهدى والعُهر والدَّنَس

يعيطينا الشاعر في البيت التالي صورة مقتضبة عن بغداد فنستطيع أن نشاهد الأوضاع المأساوية التي مرّت بها مدينة ألف ليلة وليلة بعد الاحتلال فما نرى فيها إلاّ مشاهد الظلم والعداء التي خلقتها حالة الانفصال والانشقاق في بغداد الرشيد:

هـذا عراقُـك يـا رشـيدُ كبـا بِـهِ جَـوْرٌ وعـدوانٌ وفـأسُ شِـقاقِ

في البيت إشارة إلى ظلم وطغيان وعدوانية النظام العراقي السابق واستجلابه الكوارث للعراق، بما في ذلك كارثة الاحتلال الأمريكي الغاشم.

٣-٢. ما أفضى إليه الإحتلال في العراق

صوّر السّماوي ما أدّي إليه الاحتلال في العراق بريشته الشعرية. فقد سجّل كلّ ما وقع نظره عليه بدقة متناهية وعناية فائقة انظر كيف يخاطبُ في المقطع التالي من شعره جنود الاحتلال واصفاً إياهم بالمراوغة والنفاق والتزوير والابتزاز محمّلاً إيّاهم مسؤوليّة إرهاق الشعب وانزلاق البلد نحو شفير الهاوية.

تصرخ الآن أُخرجوا من وطني.../ وارفعوا – باسم الملايين- أياديكم /عن الشعب المُضامْ / حرِّرونا منكم الآن.../ من زيف الشعارات/ سارقي أرغفةَ الشعبِ / أدلاّءِ جيوش الاحتلالْ / والمُرائينَ الذين استمرؤوا الفتنةَ والغيَّ منادينَ بحقِّ المرءِ في السَّحْتِ/ وبالكفرِ الحلالْ/ فاخرجوا من وطني

لم يحرّر الاحتلال الاميركي العراق كما زعم البعض بل إنّه حسبما يراه حوّل حياة العراقيين إلى كابوس مروّع كما حوّله إلى زنزانة رهيبة يتخبط في غياهبها الشعب العراقي كلّه. يسخر السّماوي كما نلاحظ في المقطع التالي جنود الاحتلال داعياً إيّاهم بنبرة تهكمية لاذعة إلى تعاطي الخمر على شرف انتصارهم على شعب مسحوق أنهكه النظام العراقي السابق قبل الاحتلال٨.

فاخرجوا من وطني/واشربوا نخب انتصار القائد السجان/في الحرب على الشعب السّجين/نحن مهزومون من قبل ابتداء الحرب.

هكذا ينغّص شاعرنا على جنود الاحتلال فرحة الانتصار ونشوة الاحتلال مشدّداً على أنّهم لايحقّ لهم الشعور بالزهو والخيلاء طالما استولوا على شعب خارت قواه و دمرّت قدراته أيام الحكم الصدامي.

٣-٣. الاحتلال الأميركي واستغلال خيرات الشعب

تزامنت قضيّة الاحتلال مع ضجّة إعلامية مكثّفة أثارتها قوات الاحتلال تحاول عبرها تبرير الغزو بأنّها تريد وراء ذلك تحرير الشعب العراقي من براثن الطاغية صدام. إنّ ما صرّح به جنود الاحتلال قبيل غزو العراق إنّما هو محاولة لتضليل الرأي العام ومبادرة في إطار التعتيم الإعلامي.من وجهة نظر السّماوي أنّ جشع المحتلّين وطمعهم للاستيلاء على ثروات الشعب ونهب خيراتهم هو الحافز الذي حفّزهم على اقتحام بلاد الرافدين والدليل على ذلك أنهم لم يرحموا صغيراً ولا كبيراً إثر دخولهم البلاد ولم يألوا جهداً في

امتصاص ممتلكات الشعب من النفط والمناجم والأحجار الكريمة والتحف الأثريّة.

فإذا بتحرير العراقِ وليمةٌ/حَفلَتْ بما في الأرضِ من سُرّاقِ

وكانت نتيجة الاجتياح الامريكي للعراق أن خلت البيادر من المحاصيل واختفت الاثمار من النخيلات وغاب الخبز عن موائد العراقيين كما انعدم الأمن في بيوتهم:

قد أفرغوا /الحقل من البيدر /و النخل من الأعذاق (٣) /والصحن من الرغيف/ والدار من الأمان

يجعلنا الشاعر في المقطع التالي في صورة محزنة نستشف منها الوضع الكارثي الذي يعيشه المواطن العراقي جرّاء الاحتلال. فإنّه شبّه الشعب المحتلّ بالدواليب الّتي تدور حول نفسها في دوّامة يحيطهم جنود الاحتلال وفي أيديهم سياط تنهال على ظهورهم تباعاً كما وصف المحتلّين بالعملاء المرتزقة الذين باعوا أنفسهم لأصحاب الكارتلات والشركات اليهودية العملاقة. فالمشهد هذا يذكرّنا بمشهد الرقيق الذين يضربهم ويجلدهم أسيادهم بالسّوط للاستغلال الأكثر لطاقاتهم الجسدية. ففي حال أن للعراق أرضا خصبة ومعطاء تعجّ ربوعها بالاخضرار والازدهار لا نصيب للعراقيين من ثرواتها وخيراتها إلا حفنة من الرماد التي خلّفتها نيران الاحتلال.

كأننا الناعورْ:/نَدورُ حول نَفْسنا ../وحولَنا يدورْ/بسوطِه المحتلُّ .. والقاتلُ .. والمأجورْ/كأنّنا التّنّورْ:/نَقْنَعُ بالرمادِ من وِجاقِنا١/وخبزُنا يأكُلُهُ المحتلُّ .. والقاتلُ .. والمأجورْ

الرسالة التي يريد الشاعر إيصالها إلى القارئ هي أنّ الاستعمار المحتلّ يصنع في القرن الحادي والعشرين ما فعله فرعون وجنوده فترة ما قبل التاريخ فكما كان فرعون يمتصّ طاقات شعبه وينهب خيراتهم كذلك اليوم يستبيح المحتلون قدرات الشعب المحتّل واستلب ثرواته الوطنية .

تحول العراق بعد أن داس عليه المحتلّون إلى مأدبة حضرها اللصوص وناهبو الثروات ملتهمين فيها كلّ ما لذّ وطاب لهم. اعتبر السمّاوي العراق غنيّاً بثرواته الطبيعية وممتلكاته الذاتية فضلاً عن أنّ خصوبة الأرض وكثرة الأنهار واخضرار الطبيعة ممّا جعل بلد الرافدين بلداً ثريّاً معطاء. فله في هذا المجال تعبير رائع ينمّ عن خياله الطاغي فإنّ رغيف الخبز الذي يرمز إلى الخصب والعطاء يكبر حجمه في بلاد الرافدين إلي حدّ يصل بحجم السماء كلّها. فهذا التعبير الرومانسي رغم كونه قصيراً يحوي شحنة دلالية واسعة لاتكاد تستوعبه كتبٌ ضخمة إلاّ أن ما يدعو للحزن والأسف أن العراق بكلّ ما فيه من ثروات هائلة صار ملكاً طلقاً للأجانب المعتدين.

فليس للمواطن العراقي حقّ في ما يملكه لأنّ الدّخلاء الأجانب ينظرون إلى البلاد وكأنّها غنيمة يغتنمونها لا لشيءٍ سوى أنّهم جنود اجتاحوا البلاد بأحدث سلاح واحتكروها بكامل أرضها وشعبها٩.

وطن على سعة السّماء رغيفة لكنّه حكرٌ على الأشرار.
سوقٌ على من باع لا مَن يشتري دفع النقود إلى الدّخيل الشاري

لموالاة الوطن حضور واسع مكثّف في الشعر المقاوم حتّى إنّه يُعدّ من ثوابته وركائزه. بناءً على ذلك تناول شعراء المقاومة قضية الوطن في أشعارهم وشحنوها بمشاعر الحبّ الرقيقة. لقد تجّلت مشاعر حبّ الوطن لدى الشعراء المقاومين في صور متنوعة من أبرزها، إظهار الولاء للوطن، تكريم الوطن بإعطائه أجمل صفات المجد وأروعها والتعبير عن المشاعر المؤلمة حيال المدن المحتلّة التي امتدّت إليها أيدي الاعتداء والخراب والدّمار فحوّلتها إلى حطام وأنقاض بعد أن كانت عامرة مطمئنة بأهلها وإظهار مشاعر الاغتراب والحنين إلى أوطان رحل عنها أبناؤها في ظلّ وطأة الحرب والاحتلال.

فكما نشاهد في محطات مختلفة في شعره أنّه يؤكّد على تعلقه بالعراق الضائع والذّود عنه ببذل الغالي والنفيس. لقد اعتبر الشاعر الحبّ للوطن واجباً دينياً يحاسب عليه الله في يوم الحساب فكما نلاحظ أكد الشاعر علي وفائه لوطنه الحبيب مقسما بالله انه لن يخون البلد حتي ولو خذله الخلان والأحباب فإنه يظل وفيا للوطن مادام حيّا يُرزق فلن ينحرف عن طريق الوفاء إلي متاهات الخذلان والخيانة ١٠.

أنســـاك؟ لا والله تلـــك مصـــيبتي إنّ الوفـاء - وإن خُـذلتُ – مـداري
أدّيـت في الحـبّ اليمين وليس مـن خلقـي الجنـوح مـن الهُـدى لشـنارِ
فـإذا نكثـتُ العهـد عَيَّرَنـي غـداً يـومَ الحسـابِ لـدى العظيمِ يسـاري

٣-٤. التحريض على الصمود والمقاومة

حثُّ المناضلين على الالتزام بالصمود والمقاومة جزء ثابت لايتجزأ من الأدب المقاوم في هذا السياق فظّل الشاعر يحرّض الشباب على مواصلة النّضال بمختلف آليات النضال نافخاً روح النّضال في نفوس المستمعين.

كما يصوّر آلام وطنه الجريح ومعاناة شعبه المسحوق ويذكرّهم بتاريخ بلدهم التليد وأمجاده ومآثره وينشد في أشعاره بنبرة عالية أغاني الحب والأمل والكرامة مقارناً الواقع الحالي للعراق بماضية المجيد الزاخر بالعطاء والخصوبة، الحماس الذي يجري في شرانق شعره يفرز في نفس القارئ طاقة كبيرة من الحيويّة والديناميكية، في المقطع التالي من شعره يستحثّ وبحماس متوقّد الهمَمَ لسحق الأعداء وطردهم من الوطن الحبيب وتطهير البلاد من رجسهم.

فأعدو لعدوّكم-عدوّ الله-ما يرهبه/حتّى يفرّ القاتل والمحتلّ من بستاننا / وتستعاد الدار

ولايخفى تأثّر الشاعر في المقتطف السابق بآية من آي الذكر الحكيم تأمر المسلمين بالتّزوّد بأحدث وأمضى سلاح يهابهم الأعداء بسببه والآية الكريمه هي:

و﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(الانفال/٦٠)

وقد يذكي السّماوي لهيب الحماس ومشاعر الثورة في نفوس السامعين بتقريعهم وتأنيب ضمائرهم وإيقاظ روح البطولة والانتفاضة بداخلهم كآلية تعبيرية ناجحة ومؤثره لإثارة الحماس والحمية لدى الجماهير:

كفاك هذا العار/كفاك هذا العار/يا أمة اللّه انهضي/كفاك هذا العار....

إن لربط الأمة بـ«اللّه» دوراً هامّاً في تأجيج الشعور الملحمي لدى السامع المتلقّي ولا يخفى أيضاً ما لترديد عبارة "كفاك هذا العار" في نفس المستمع من وقع بنّاء حيث إنّه يتخيّل إيقاعها دقات الناقوس التي توقظ النائمين من سباتهم العميق عند الصباح.

٣-٥. ذكر أمجاد الماضي

لقد حفل شعر السّماوي المقاوم بالأمجاد والمآثر التي تركتها الأجيال الماضية خاصة في عهد العباسيّين. فإنه أورد في شعره أسماء تتّعلق بالخلفاء العباسيّين من المنصور المؤسس للدولة العباسية وهارون الرشيد وغيرهما مشيداً بما صنعوا من أعمال جليلة.

لقد تردّدت هذه الأسماء في أشعاره لأنّها ترمز إلى ماضي العراق المفعم بالأمجاد فأراد الشاعر باستعراض هذه الأسماء أن يعيد إلى الأذهان ما كان عليه مسقط رأسه من مجد وكبرياء في العصور المنصرمة. ممّا انفطر له قلبه واكتوى به كبده حُزناً أنّه يرى أن وطنه الذي كان يأبي الاستسلام والخنوع أمام الطغاة بات اليوم وهو يرضخ أمام الأجانب والشعب الذي كان يأنف

التنازل عن كرامته وسيادته أمام الغزاة باذلاً مهجته دون مجده وسؤدده، صار اليوم وهو يخضع للخونة والمعتدين. ومازاد الطين بلّة أنّ الاقتتال الطائفي مزّق صفوف العراقيين ووضع جهودهم لإنقاذ البلاد في مهبّ الريح وقد عبّر عن الفرقة التي دبّت في نفوس المواطنين بالفأس القاطع الذي يجتثّ جذور البلد كما استخدم في المقطوعة التالية الامام الحسين (عليه السلام) كشخصية رمزية يعزو إليها التراث المعنوي الذي ورثه الوطن من الأجيال السابقة كما عزا الحضارة والثقافة إلى "الرشيد" و"المنصور" كأسماء ترمز إلى العهد الذهبي للعراق. وجد السّماوي في هذه الرموز راية تلتفّ حولها طبقات الشعب كافةً.

هل هذه بغداد؟ كنتُ عَرفْتُها/تأبى مهادَنَةَ الدَخيلِ العاقِ/تأبى مُساوَمَةً على شرفِ الهوى/فَتذودُ دونَ شَذاهُ بالأرْماقِ/وَرِثَتْ عن (المنصورِ)٢ صهوةَ عَزْمِهِ/وعن (الحسين) مكارمَ الأخلاقِ/هل هذه بغداد؟ تأكلُ ثَدْيَها/فإذا بها وخؤونَها بوفاقِ!/هذا عراقُك يا (رشيدُ٣) كبا بِهِ/جَوْرٌ وعدوانٌ وفأسُ شِقاقِ.

من الملاحظ أنّ الشاعر استخدم في اللقطة الشعرية السابقة تعبيراً استلهمه من الأمثال العربية السائرة وهو "الحرة تجوع ولا تأكل بثديها" وفي تعريج الشاعر علي هذا المثل إشارة مُحزنة إلى أنّ المرأة العربية الأبية التي لم ترضَ الخنوع للدناءة والمذلة طيلة الأعصر والقرون أصبحت اليوم وفي ظلّ الاحتلال الأجنبيّ تخضع لكلّ أنواع الإهانة والإذلال .

٣-٦. التنديد بجرائم الاحتلال

لقد ندّد الشاعر بالجرائم التي سبّبها الاحتلال في غضون أشعاره. والذي يرميه وراء إدانته للمجرمين إنّما هو تحريك مشاعر الغضب والاستياء والبرم ضدّ الاحتلال والتحريض على قمع المعتدين وكبح جماح الغزاة واستنكر عبر المقطوعة التالية الجرائم التي ارتكبتها يد الطامعين في خيرات الشعب فهو

يتحدّث عن الأطفال المبتورة السيقان ونساء مغتصبات مقطّعاة الأثداء كما ينوح للتّصدع الذي أحدثته مدافع الغزاة في قبّة من قباب الحرم الحسيني ببكاء وأنيناً و عويل.

فالعدو الأميركي لم يستهدف ثروات البلاد فحسب بل استهدف أيضاً التراث الدّيني ورموز مُثُله العليا لِما لهذه الرموز من تأثير في إعطاء زخمٍ جهاديّ لنفوس العراقيين الأشاوس.

طفلٌ بلا ساقَينْ/وطفلةٌ مشطورةٌ نَصْفَينْ/وطاعنٌ دونَ يدٍ/وامرأةٌ مقطوعةُ النهدينْ/وَكُوَّةٌ في قُبَّةِ (الحسينْ)/جميعُها:/حصادُ طلقتينِ من دَبَّابَةٍ/مَرَّتْ بـ (كربلاءْ)/تحيَّةً ليومِ (عاشوراءْ).

التقط لنا الشاعر في لقطة أخرى مشهداً رهيباً لم يسبق له مثيل إلاّ أثناء الحروب العالمية الأولى والثانية. فإنه يُرينا في هذا المشهد الكارثي جثث الموتى الذين راحوا ضحية الاحتلال ومن المؤلم جداً أنّ المحتلين لايسمحون بدفنها كما يُرينا مشهد الأطفال الصغار الذين لم يترك يترك الاحتلال مجالاً لانتشال رفاتهم من تحت الأنقاض.

فاخرجوا من وطني/وامنحونا فرصةَ الدَّفن لقتلانا/وأنْ نُخْرِجَ من تحتِ الركامْ/جثثاً ما بلغَتْ عمرَ الفِطامْ.

ثم هدّد مسببي الجرائم الوحشية بسيوف الانتقام التي سيشهرها أبناء الوطن الجريح في وجه المجرمين بانتفاضتهم الجماهيرية الغاضبة:

فاخرجوا/ من قبل أنْ ينتفضَ النخلُ العراقيُّ/ويستلُّ سيوفَ الانتقامْ.

لايعرف السّماوي سبباً لمأساة الشعب ومعاناته سوى الرئيس الذي يسكن البيت الأبيض فيتمنّى لو كان سوطاً يصبّ على جسد الجلاد الأميركي أو كان سيفاً يستأصل شأفته كما تجزّ المناجل محاصيل الحقول.

لو كنتُ سوطاً/ لَجلدتُ الجلاد/ لو كنتُ طاعوناً/ لاتخذتُ البيت الأبيض/ حقلاً لمنجلي...١١

٣-٧. احتلال العراق بحجة تحرير الشعب

طالما احتلّ الطامعون بخيرات الشعوب، البلادَ بشعار الحريّة التي تتهافت عليه الأرواح وتتفانى فيه النّفوس. لقد حفلت صفحات التأريخ بالجرائم التي اقترفها غاصبو البلاد تحت قناع الحريّة كما زحف الجنود الأمريكان إلي العراق بحجّة أنّهم يريدون تحريره من قبضة الاستبداد ونير الظلم. أدان الشاعر في الأبيات التالية اتّخاذ المحتلّ الأميركي الحريّة قناعاً يستر خلفه وجهه الغاصب:

ما قيمة التحرير/ إن كان الذي هبّ إلى نجدتنا/ حرّرنا/ واعتقل الوطن.

من الملاحظ أنه كشف النقاب عن الوجه الحقيقي للغاصبين معلناً بنبرة صارخة أنّهم لايريدون وراء الضجّة الإعلامية التي افتعلوها باحتلال الوطن إلاّ القضاء على معالم الهداية وإشاعة الدّعارة والأرجاس:

زَعَمَ (المُحرِّرُ) أَنْ سيمنَحُنا/حريَّةً تُفدى .. وَتُقْتَبَسُ/حريةٌ .. لكن يُرادُ بِها/وَأَدُ الهدى والعُهْرُ والدَّنَسْ!

لقد كرّر الشاعر المضمون نفسه في محطّة أخرى من أشعاره حيث خاطب تمثال الحريّة في أميركا مستغرباً أن تكون هذه الإلهة الرخاميّة رمزاً للحريّة إذ أنّه في منظوره أشبه مايكون بالمشنقة رافضاً تسمية الشعلة التي يحملها التمثال بشعلة الحريّة لأنّها في رأيه حريقٌ تلتهم به حقول العالم أو سيف يقطع رؤوس الأحرار الذين يأبون الركوع والاستسلام أمام الآلهة التي تُعبد في هيكل "البيت الأبيض".

أيها الربُّ الرخاميُّ المنتصِبُ كالمشنقة /ليس مِشعَلاً للحريةِ ما ترفَعه ../اخفضْ يَدَك ../فالبنتاغون يراهُ فتيلاً /لإحراقِ حقول العالم ../والـ " c. I . a " تراه سَيفاً /لاستئصال رقاب مَنْ يرفضُ الإنحناء/لآلهة " المعبد الأبيض "! الكلمات.

٣-٨. شريعة الغاب في ظلّ الاحتلال

يري السمّاوي أنّ صداماً الطاغية كان مع قسوته وشقائه قادراً على ضبط البلاد وإحلال الأمن فيها بأساليب متشدّدة صارمة. فحينما داهم جنود الاحتلال، البلاد اختلّت الأمور وانقلبت الموازين فعمت الفوضى ودارت معارك طاحنة وصدامات عنيفة بين فصائل معارضة تتنافس من أجل تحقيق مطامحها الفئوية . فباتت تحكم العراق شريعة الغاب. وصار مسرحاً للحروب الدّامية والمقابر الجماعية بعد أن كان عنواناً للعلم والأدب والثقافة في عصر ازدهاره الحضاري و كتب اسمه بحروف من الذّهب في التاريخ.

من المحزن في هذا الوسط الرهيب أنّ القذائف التي يطلقها جنود الاحتلال لاتفرّق بين المساجد والملاهي بل تقصفها كلّها على حدّ سواء. كما أنّ طلقات الرصاص لاتميّز بين طلاب المدارس الماضين بشنطاتهم المدرسية وعناصر الإرهاب التي تحمل الحقائب المفخخة في رؤية الشاعر أنّ في ظلّ الأوضاع العصيبة التي تكون وليدة الاحتلال لن تستعيد بلاد المجد والعروبة هيبتها وكبرياءها إلاّ إذا طردت الغربان من بساتينها وأخلت أرضها من جنود الاحتلال.

يا زَمَنَ الخوذة والدفنِ الجماعيِّ/وقانونِ وحوشِ الغابْ/متى ../متى يخترعون طلقةً/تَميِّزُ الطفلَ من الجنديِّ/أو قذيفةً/تُميِّزُ الحانةَ والمبغى من الحرابْ؟/وشنطةَ التلميذِ من حقيبةِ الإرهابْ؟/متى ../متى يُغادرُ الأغرابْ/بستانَنا/فَيَسْتَعيدُ النخلُ كبرياءَهُ/ويستعيدُ طُهْرَهُ الترابْ؟ (السّماوي، نقوش على جذع نخلة،٢٠٠٦م: ١٢٦-١٢٧).

٣-٩. الإستنجاد بالرموز الدّينية

استمدّ شاعرنا في محطات من شعره المقاوم الرموز الدّينية لإذكاء شرارة المقاومة وضخّ دماء الحمية والأنفة في عروق الشعوب . ومن أبرز الرموز التي

وظّفها في شعره هو الإمام الحسين (عليه السلام) والامام المهدي المنتظر (عجل الله تعالي فرجه). في المحطة التالية يعتبر الشعب العراقي فرعاً من دوحة الإمام الحسين (عليه السلام) المباركة وذلك لاستنهاض الهمم وإثارة روح البطولة والرفض عند مواجهة الأعداء. فنرى أنّه يستبعد أن يرحّب الشعب بالمحتلّين بتقديم باقات الأزهار لهم إذ أنّهم طالما يجري في عروقهم دم الإمام الحسين (عليه السلام) فإنهم يأبون الاستسلام أمام الطغاة حتّى وإن قطعت السيوف رقابهم. وصف شعبه بالنخل الذي يعتبره رمزاً للقوة والصمود والمقاومة وربّما أنّه استلهم رمزيّة النخل من أرض الرافدين الخصبة التي تنجب النخيلات بكلّ سخاء وعطاء:

حاشـــاكَ تنثـــرُ للغـــزاةِ وُرُودا فَلَقَـدْ خُلِقْـتَ كمـا النخيـلُ عنيـدا
لا زال فيـكَ مـن (الحسـينِ) بَقيَّـةٌ تـأْبى الخنـوعَ وإِنْ تُبـاحَ وريـدا ١٢

لقد استخدم الشاعر الإمام المهدي (عليه السلام) كرمز من رموز الدّين وحاول أنّ يستغلّ من رمزيته لاستنهاض الهمم والصّمود والمقاومة. فالإمام المهدي (عج) هو الإمام الذي تنتظره الشعوب المقهورة بقلوب مفعمة بالأمل والحبّ كي يأتي في يوم من أيام الدّهر ويملأ الأرض قسطاً بعد أن ملأه الظالمون ظلماً.لقد وظّف السّماوي الطاقة المعنويّة الهائلة التي تملكها رمزية الإمام المهدي (عج) لإلهاب مشاعر الثورة و الإنتفاضة في نفوس الجماهير. حيث استخدمها في مواقف متعددة من أشعاره فإنّه يناجي إمامه ليأتي ويُنهي ظلام الاحتلال ويحوّل ليله القاتم إلى فجر مضيء بتباشيره وطلائعه المبشّرة بحياة كريمة.

يشكو لدي الإمام ممّا يقوم به المحتلّون من إراقة الدّماء طيلة النهار وترويع القلوب وإرهاق الأجسام وإذابتها.

يا صاحب الزّمانْ/ الصبح ليلٌ في الفراتين/ فنحن يومنا ليلانْ!١٣

فهو يستغيث الإمام لإنقاذ وطنه من الأنظمة الحاكمة المزورة وناهبي ثروات الشعب والغزاة الأجانب حيث سرقوا محاصيل الحقول وثمار النخيل وأقوات النّاس وأمن البلاد .

يا صاحب الزمان.../ يا منقذنا../ يا "صاحب الزّمانْ":/ القادة الزّور../ اللصوص../الغرباء..

ربّما نستطيع القول بأن الظروف في العراق بعد نكبة الاحتلال الأميركي تفاقمت واستفحلت إلى درجة لا أمل لدى الشاعر بتحسن الأوضاع وتعافيها إلاّ في ضوء قيام الإمام الذي يحقّق آمال الشعوب وأماني المنكوبين ويُنهى دولة الظالمين الطغاة بالنّظام الإلهي العادل الذي يُقيمه بنصرة من الله وقوته.

٣-١٠. التحذير من مؤامرة لاحتواء الدّين

دخل جنود الغزو العراق وهم يحملون فكرة عزل الثقافة الدّينية عن المجتمع وإحلال الثقافة الغربية مكانها. وربّما الأمر الذي دفعهم إلى ذلك أنّهم كانوا يرون في الثقافة الإسلامية خطراً على كيانهم وهويتهم إذ حالما تطغى الرؤية الدّينية على أبناء المجتمع تقطع الطريق على الرؤية العلمانية وتضيّق المجال للثقافات المستوردة التي تروّج للحياة الماديّة البحتة والابتعاد عن الشؤون المعنويّة. بناءً على ذلك أنّ المحتلين قاموا بتشويه سمعه الدّين جرّاء الحملة الإعلامية التي شنوها في وسائل الإعلام الدوليّة. من هذا المنطلق أبدى الشاعر حماساً متوقداً للدفاع عن الاسلام و إفشال الجهود الرّامية إلى تهويد الوطن وتغريب ثقافته العريقة.

ولننظر كيف يخاطب الشعب بخطابه الناريّ محذّراً إيّاهم من المخططات العدوانيّة التي حاكها لهم الأعداء لتحجيم الإسلام وحرف مفاهيمه وطمس معالمه:

كفاك هذا العارْ/ من قبل أن يطبق ليل القهر بالدّجى على بقية النّهارْ/ وقبل أن يؤمرك القرآن/ أو تُهوّد الأمصارْ

٣-١١. آلية الرمز في شعر السّماوي

يُعدّ استدعاء الرّمز في الشعر المقاوم من أبرز وأهمّ سماته الأدبية وآلياته الفنيّة. بما أنّ السّماوي استخدم الرمز كمقوّمة أساسية من مقومات شعره رأينا أنّه لمن الأنسب أن نسلّط الضوء على بعض الرموز التي وظّفها في شعره المقاوم. علماً بأنّ شاعرنا استلهم رموزه تارة من الطبيعة وأخرى من الشخصيات التأريخية فلندرس الرموز في شعره بادئين بالرموز الطبيعية.

٣-١١-١.الرموز الطّبيعية في شعر السّماوي المقاوم

٣-١١-١-١. الذئب

يُعدّ الذئب في ثقافة الشعوب من أكثر الحيوانات وحشيّة وشراسة. من المعروف أنّ هذا الكائن المفترس لايرحم حتّى بني جنسه حالما يشتدّ به الجوع فما بالك بقطيع الغنم والخراف التي يهاجمها على حين غفلة منها. وما يقال عن هذا الحيوان الشرس بأنّه ينام بعينين منفتحتين دليل واضح على أنّه لايأمن غيلة بني جنسه أثناء النوم (الدميري،١٤٠١: ٥٠٤). استخدم الشاعرُ الذئبَ رمزاً للجماعة التي تسلّلت إلى وطنه الحبيب ومزّقته مثلما يمزق الذئب فريسته بأنيابه ومخالبه.أراد الشاعر بتوظيفه الذئب الإيحاء بأنّ جنود الاحتلال استساغوا العراق واقتسموه كعكة فيما بينهم:

نحن لا نستبدل الخنزير بالذئب/ ولا الطاعون بالسّل/ وموتاً بالجذام/فاخرجوا من وطني...

فضلاً عن ذلك فقد شبّه ظاهرة الاحتلال بأمراض السل والجذام وهما من أشدّ الأمراض فتكاً.كما شبّه الحكم الصدامي بالخنزير والطاعون والموت أيضاً في اللقطة الشعرية نفسها.

نستنتج من خلال الدلالات الرمزية في المقطع السابق أن الاحتلال لم يستجلب للعراق سوي المصائب الويلات فلم تتحسّن الأوضاع بعد الغزو بل أنها تحولت من السيىء إلي الأسوأ فإذا كانت الظروف في العهد الصدامي يرمز لها بالذئب فإنها باتت ترمز إلي الخنزير بعد الاحتلال وإذا كانت الحياة أثناء الحكم السابق ترمز إلي الطاعون والموت فإنها أصبحت ترمز بُعيد الغزو إلي السل والجذام. وهكذا بات حال المواطن العراقي حال من يستجير من الرّمضاء بالنّار.

٣-١١-١-٢. الخنزير

ممّا يوصف به هذا الكائن أنّه يهاجم المزارع والحقول في قطيعه فيحوّلها في غضون سويعات إلى مكان مدمّر تهشمت محاصيله واجتثت أعشابه. جعل الشاعر هذا الكائن البغيض رمزاً لجنود الاحتلال الذين داهموا الوطن بدباباتهم المدرعة فحصدوا الشعب الأعزل بالقذائف والرّصاصات وأثبتوا أنّ العصر مازال تحكمه شريعة الغاب:

في وطن النخيل/ يحقّ للخنزير أن يحصد بالرصاص/ عشب الله في المحرابْ/ يحقّ للمدفع أن يطرق كلّ بابْ / مادام أنّ العصر عصر غابْ.

٣-١١-١-٣. الجراد

إنّ سرب الجراد حينما يجتاح الحقول والحدائق يخلّف وراءه في أقلّ من لمحة البصر قاعاً صفصفاً. استدعى الشاعر رمز الجراد ليوحي بفداحة الخسائر التي ألحقها الاحتلال بالوطن وشعبه فكما أنّ الجراد لا يستجلب سوى الجوع والقحط كذلك لا يصحب معهم جنود الاحتلال إلّا التجويع والحرمان.فلا خيار أمام الشعب للقضاء علي المعتدين الذين يهلكون الحرث والنسل كأسراب الجراد إلّا برصّ الصفوف و تظافر الجهود.

كلّ الجراد البشريّ الآن في بغدادْ/ فيا جياع الرّافدين اتّحدوا/ ونظّفوا الحقل من الجرادْ/ كي لايجوع في الغد الأبناء والأحفادْ...

٣-١١-٢. استدعاء الرموز التاريخية

عمد شاعرنا إلى استدعاء الرموز التاريخية في شعره المقاوم لحضّ الشعوب على الصمود والمقاومة بوجه الاحتلال.

إنّ الشخصيات التاريخية التي وظّفها السّماوي في أشعاره تتمتع بقدر كبير من الشعبية والكاريزما مما يؤهلها لتلعب دوراً عظيماً في تفجير الطاقات الجهاديّة في نفوس الشعب وإعادة القدرات البشريّة لمواجهة الأعداء. علاوة على الإمام الحسين (عليه السلام) و الإمام المهدي (عليه السلام) الذين تحدثنا عن مكانتهما ودورهما في إذكاء شرار الثورة والحماس في الشعوب سالفاً استخدم شخصيات تاريخية ذات مكانة تأريخية مرموقة نخصّ منها بالذكر:

٣-١١-٢-١. عمار بن ياسر

جعل السّماوي الصحابي الجليل عمار بن ياسر رمزاً لمعاني الفداء والتضحية. فعبّر عن أهل الانتفاضة بأنّهم أبناء عمار بن ياسر وسلالته حيث يخاطبهم بـ"آل ياسر" داعياً إيّاهم إلى التحلّي بالصبر بما أنّ الصبر هو الطريق الوحيد إلى الجنة وأنّه مفتاح الظفر والانتصار. باعتقاده أنّ عمّاراً لم يمت بل إنّه حيّ يرزق عند ربه وإنما الميت هم الذين قاموا بقتله. ثم انّه لاخير في حياةٍ تسودها المهانة والذلّ. بما أنّ القرد مثال رائع لمن يرضى بالحياة تحت هوان الخسف وحقارة الظلم؛ وظّفه ليرمز إلى ذاك الإنسان الحقير الذي يركن إلى الحياة المرفهة فالقرد يظلّ قرداً لن ينسلخ عن هويته الوضيعة ولوتسلّق قمّة شامخة أو أشجارا باسقة١٤:

يا آل ياسر في العراق تصبّروا أنّ الجهاد إلى الجنائن معبرُ
يا آل ياسر والعذاب ثوابه إن كان من أجل العقيدة أكبرُ

ما مات عمار بن ياسر إنما مات الذي بدم ابن ياسر يأمرُ
يا آل ياسر والنعيم مذاقه مُرّ على خسف وإن هو كوثرُ
إنّ القرود وإن تسلقتِ الذرى تبقى قروداً ما تطول الأدهرُ

٣-١١-٢-٢. صلاح الدين الأيوبي

لشخصية صلاح الدين الأيوبي كقائد شجاع وسلطان مقتدر، وقع كبير في شعر المقاومة بشكل عام (شكري،١٩٩٨ : ١٢٣).لم تغب هذه الشخصية الأسطوريّة عن بال السّماوي حيث إنّه تطرق إليها في مواقف متعددة من شعره المقاوم. فهو يرى أنّ العراق اليوم بأمسّ الحاجة إلى قائد كبير المعي كصلاح الدين الأيوبي الذي حرّر القدس من براثن اليهود والصليبيين إلاّ أنّ الشاعر يستبعد أن يُنجِب العراق شخصية مثلها في وقت انهمك فيه الشعب في ملذات الدّنيا وشهواتها:

"... كيف يقوم في جموعنا صلاح الدينْ / و نحن لا صلاح في نفوسنا/ مستبدلين لذة زائلة بالدّينْ ".

٣-١١-٢-٣. هولاكو

ضربت بلدانَ المشرق سنة ٦١٧ه.ق نكبةٌ مغولية شرسة احتلّ فيها المغول بلاد الرافدين وعلى رأسهم هولاكو فقتلوا فيه خلقاً عظيما بما فيهم الخليفة ورهطه١٥. الجرائم البشعة التي صدرت من هولاكو وجيشه، جعلت هولاكو رمزاً وأسطورة لكلّ من تلطخت يده بدماء الأبرياء حتى المرفق١٦.

إنه وصف الغزاة الذين استباحوا أرض العراق بهولاكو جديد بما أنّهم خلّفوا وراءهم الخراب والدّمار والفساد. ثمّ يستثير كعادته دفائن القلوب والأذهان بالسؤال الذي يطرحه على القارئين وهو ما الذي دفع هولاكو جديد يعني أميركا وخلفاءها إلي غزو الوطن وتدميره كما فعله كبيرهم

هولاكو المغولي؟ هل كان سبب الغزو هو تحرير الشعب من نير الاستبداد وبناء غد أفضل ومستقبل مشرق لأبناء الوطن كما زعموا ؟!

لم يتطرق الشاعر إلى الإجابة عن الأسئلة إشعاراً بأنّ الإجابة واضحة جداً، إنّ الغزاة الأجانب الذين هاجموا العراق مدججين بأمضى سلاح ومستخدمين الأساطيل العملاقة لم يطمحوا إلى تحريره من قبضة دكتاتورية صدام أو تدمير ترسانته الهائلة كما زعم البسطاء والسّذج بل إنّهم رفعوا هذا الشعار البرّاق كقناع ليخفوا وراءه أطماعهم الاستكبارية ونواياهم القذرة:

كلّ عصر/ وله ربٌّ وهولاكو جديد/ فلمن جيشت الخوذة أميركا/ وأرست سفنا ؟/ ألكي يصبح حُراً بيتنا ؟ وسعيداً غدنا؟! ١٧

٤. نتائج البحث

خلّفت عملية الغزو الأميركي للعراق تركة ثقيلة ألقت بظلالها على الشعر العربي عامة والشعر العراقي خاصّة. انعكست قضايا الغزو في أشعار العراقيين بصورة واضحة جليّة. لقد استأثرت قضية الاحتلال باهتمام الشعراء الذين عاصروها وعاشوا مأساتها. غادر السّماوي بلده الجريح مهاجراً إلى استراليا لكنّه لم يكن بمنأى عن مصائب الاحتلال فإذا ابتعد جسمه عن الوطن ظلّت روحه تعيش فيه وتتعذّب بآلامه ومصائبه.

قام الشاعر في المهجر بتصوير أحداث الاحتلال التي راح ضحيتها الشعب المنكوب فجاءت أشعاره مرآة صافية وصادقة تتجلّى فيها معاناة الوطن المحتلّ وشعبه الجريح. إنه يرينا في شعره نماذج عالية من روح التضامن مع الجماهير المضطهدة ومشاهد جميلة من الشعور بالواجب إزاء الشعوب التي ديست تحت أقدام الاحتلال.

إنه صرح في شعره بأنّ الزحف الأميركي للعراق لم تكن مكاسبه ومعطياته للمواطن العراقي سوى القمع والاضطهاد والتنكيل والتهميش.

دأب السّماوي ينتقد دوماً ما أدّي إليه الاحتلال على وطنه وشعبه المضطهد من خراب ودمار وحرمان. بلغ عشق السّماوي للوطن وتفانيه في حبّه غايته بحيث يناجيه كما يناجي أمّه أو حبيبته. لايسير شعره على وتيرة واحدة فإنّه قد يلين ليونة الغصن الناعم الطري الذي يداعبه نسيم عليل. وقد يشتدّ شدة عاصفة هوجاء تعصف وترعد فإنّه عندما يخاطب المواطنين في العراق يتحدّث معهم بلهجة هادئة ناعمة تفيض بالعطف والحنان وحينما يخاطب المحتلّين الأميركان يتحدّث معهم بلغة غليظة قاسية تغصّ بالغيظ والعداء. لقد حرّض السّماوي أبناء قومه على القتال ومواجهة الغزاة الأجانب بكلّ ما أوتوا من قوّة وطاقة.

حرّض السّماوي في كثير من محطاته الشعرية الشعب على الثورة بوجه المعتدين الأجانب وكسر هيبة الغزاة. إنه حاول أن يعيد إلى الأذهان أنّ تاريخ الوطن المجيد حافل بالعطاء الزاخر وأنّ أرضه الخصبة أنجبت حضارات تليدة وشخصيات عملاقة تكون مدعاة للفخر والاعتزاز لدى المواطنين أينما حلّوا. وممّا فطر قلب الشاعر حزناً أن العراق الحبيب الذي ينعم بهذا التاريخ المشرف أصبح يرزح تحت نير الاحتلال ولكنّه لم يترك للخيبة إلى نفسه سبيلاً بل دعا أبناء وطنه إلى إعادة بناء مجد الوطن واستعادة أيامه المزدهرة بسواعدهم المفتولة. إنه يعتمد لتحقيق أمانيه على طاقات الشباب العظيمة ولم يُعوّل قط على القوات الأجنبية أو الأنظمة الحاكمة التي لاتقيم للقضايا العربية وزناً.

لقد أعرب شاعرنا في كثير من المواضع الشعرية عن حبّه وولائه تجاه مسقط رأسه. كما قام بتهديد جنود الاحتلال بانتفاضة الشعب وثورته العارمة التي ستنقضّ عليهم كالصاعقة فتحولهم رماداً تذروه الرياح. و هو جسّد في لقطات من شعره الجرائم البشعة التي ارتكبتها أيادي الاحتلال الأثيمة. استنجد الشاعر بالرموز الدينية كطاقة رمزية خارقة لتعميق المعاني الثورية وتحريك المشاعر الغاضبة في نفوس السامعين.

إنّ للامام الحسين (عليه السلام) والإمام المهدي (عج) مكانة مرموقة ودويّاً هائلاً في شعره. لاشك أن لشعره أحسن موقع في قلوب المستمعين ذلك لأنّه جعله خصّيصاً للقضايا التي تحتضنها الساحة العربية وتعنى بها الشعوب المسلمة جمعاء. يعتبر الرمز من أهم المكونات الشعرية في الشعر المقاوم وقد استخدمه كآلية بناءة و مؤثرة لترسيخ معاني الصمود والمقاومة.

إنه اختار رموزه من تأريخ العراق التليد وخلفيته الثقافية جعل الذئب والخنزير والجراد كرموز لقوات الاحتلال كما استفاد من رمزية عمار ياسر وصلاح الدين الأيوبي وغيرهما من الشخصيات التأريخية النابهة لإثارة روح الحماس والبطولة في نفوس القاريء ، إنها من أبرز الميزات التي تتميز بها الرموز المستخدمة في شعره وتنصبّ في مصبّ الأدب المقاوم كلّها.

هوامش البحث

١. الدليمي،٢٠٠٤م: ٣٦.
٢. المصدر نفسه: ٤٨.
٣. نجار، ٢٠٠٩م:٦٥.
٤. السّماوي، نقوش على جذع نخلة، ٢٠٠٦م: ٧٥.
٥. الأرناووط، ٢٠٠٧م: ٩٦.
٦. عاتق الغريبي، ٢٠٠٩م: ١٦٢.
٧. السّماوي، نقوش على جذع النخلة،٢٠٠٦م: ١٥٥.
٨. المصدر نفسه: ١٦٩.
٩. السماوي، مسبحة من خرز الكلمات، ٢٠٠٨م: ٣٥.
١٠. المصدر نفسه، ٢٩ ،٣٣.
١١. السّماوي، شاهدة قبرٍ من رخام، ٢٠٠٩م: ٩٦.
١٢. السّماوي، ديوان قليلك... لاكثيرهنّ، ٢٠٠٧ : ١١٣.
١٣. السّماوي،٢٠١١م: موقع النور.

١٤. السّماوي، نقوش على جذع نخلة، ٢٠٠٦م: ٣٤.

١٥. الغريري،٢٠٠٤م: ١٠٤.

١٦. محسني‌نيا،١٣٨٨: ١٧٥.

١٧. السّماوي، البكاء على كتف الوطن،٢٠٠٨م: ٤٣.

١٨. العَسَسُ: الحراس والمراد به هنا المحتلون.

١٩. الدَّلَس: الخديعة.

٢٠. الأعذاق: مفردها العذق: أغصان التمر.

٢١. الوجاق:الموقد(لهجة محلية)

٢٢. من الجدير بالذكر أنّ المنصور العباسي و هارون الرشيد و ما لفّ لفّهما من الخلفاء العباسيين الذين حكموا العراق في العهد العباسي بالرغم من الإنجازات التي حقّقوها في بعض المجالات العلمية الثقافية إلا أنهم ليس لهم سُمعة حسنة لدي الشيعة و ذلك بسبب غصبهم للخلافة التي يراها الشيعة حقاً سماوياً للأئمة الطاهرين من آل بيت الرسول اولاً و سوء معاملة الخلفاء لهم ثانياً.إذاً ذِكرُ اسم الإمام الحسين(عليه السلام) إلي جانب أسماء الخلفاء الغاصبين ممّا يثير استياء القارئين المنصفين من ذوي اطّلاع علي تاريخ الإسلام.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به هو القرآن الكريم

- الدميري، كمال الدّين(١٢٧٤ه):الحيوان الكبرى، بولاق: القاهرة.
- السّماوي، يحيى (٢٠٠٨م): البكاء على كتف الوطن، الطبعة الأولى، دمشق، حلبوني: التكوين.
- .....،.....(٢٠٠٨م): مسبحة من خرز الكلمات، الطبعة الأولى، دمشق، حلبوني: التكوين.
- .....،..... (٢٠٠٩م): شاهدة قبرٍ من رخام الكلمات، دمشق، حلبوني: التكوين.
- .....،.....(٢٠٠٦م): نقوش على جذع نخلة، الطبعة الأولى، دمشق، حلبوني: التكوين.

- .....،....(٢٠١٠م): لماذا تأخرت دهراً، دمشق: دار الينابيع.
- .....،.....(٢٠٠٧م):ديوان قليلك... لاكثيرهنّ، جدّة: عبدالمقصود محمد سعيد خوجه، الطبعة الثانية.
- شرتح، عصام، (٢٠١١ م)، آفاق الشعرية دراسة في شعر يحيى السّماوي، ط ١، سوريه : دار الينابيع.
- شكري، غالي (١٩٩٨م): أدب المقاومة، بيروت، لبنان، دار المعارف.
- الغرباوي، ماجد (٢٠١٠م): تجليات الحنين في تكريم الشاعر يحيى السّماوي، منشورات مؤسسة المثقف العربي، دار الينابيع، دمشق.
- القرني، فاطمة (٢٠٠٨):الشعر العراقي في المنفي (السماوي نموذجاً)،ط١، الرياض، موسسة اليمامة الصحيفة.

محسني‌نيا، ناصر (١٣٨٨ه): مباني ادبيات مقاومت معاصر ايران وعرب (باللغة الفارسية) (مبادئ الأدب المقاوم المعاصر في إيران والدول العربية) ، مجلة الأدب المقاوم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الشهيد «باهنر كرمان»، السنة الأولي، العدد الأوّل، الخريف ٢٠٠٩ م.

- معروف، يحيى و بهنام باقري (١٣٩١): عناصر الموسيقي في ديوان نقوش على جذع نخلة ليحيى السّماوي، مجله دراسات في اللغة العربية وآدابها، سمنان، شماره ٩.
- نظري، علي و ميرزايي و عزيزي (١٣٨٩): اشغالگري در شعر امروزين عراق (باللغة الفارسية) (الاحتلال في الشعر العراقي المعاصر) (٢٠١٠-٢٠٠٣م)، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، علمية محكمة، العدد الـ١٦، صص١٣٧-١٥٨.

المواقع الإنترنتية

- الأرناؤوط، عبداللطيف(٢٠٠٧م): الأفق نافذتي "لمحات من الشعر الوطني".
www.arabs48.com
- دليمي، اياد(٢٠٠٤م): شعراء عراقيون مقاومون من نوع آخر، الموقع الرسمي لهيئة علماء المسلمين في العراق.
http://iraqamsi.com/portal

- عاتق الغريبي، حسين(٢٠٠٩م): يحيى السّماوي وإبداعه الشعري المتميز، موقع النور.
www.alnoor.se/article
- عبيدي، وديع (٢٠٠٥م): ملامح و اتجاهات الادب العراقي في عهد الاحتلال، ديوان العرب، مجلة ادبية ثقافية فكرية اجتماعية.
www.diwanalarab.com
- نجّار، محمد (٢٠٠٩م): محمد نجار، الويب سايت الشخصي.
www.mohamednajar.org